الألغاز النحوية
دراسة تحليلية

المدرس المساعد زينب جمعة
جامعة بغداد ـ كلية الإعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على سيدنا محمّدٍ ، وآله الطاهرين ، وأصحابه المنتجبين .

فقد وقع بيدي كتابٌ في حلّ المشكلات الإعرابية كما هو ظاهر عنوانه (**الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب**) للنحوي علي بن عدلان الموصليّ المتوفى سنة ٦٦٦ هـ (١) ، إلّا إن أغلب ما في الكتاب في الألغاز النحوية ، وليس في مشكل الإعراب ، فلمح في ذهني أن أدرسَ ظاهرة الألغاز النحوية ؛ لما فيها من غرابة مخالفتِها لسُنن العربية من ترك الغموض ، والميل إلى الإيضاح .

وقد تحدثتُ في هذا البحث عن طبيعة اللغة الإيصالية التي تجعل الإيضاح علامة مميزة لها ، لانعدام الاتصال مع الغموض ، واللبس ، وتطرقتُ إلى بعضٍ مما سطّره البلاغيون في شرط الفصاحة من عدم التعقيد ، وضعف التأليف ، وما اعتقده النحاة من أمن اللبس ، وذكرتُ الفرق بين الألغاز ، والمشكل في الإعراب، ومن ثم درست بعضَ أمثلة كتاب ابن عدلان لمعرفة طرق صناعة اللغز النحوي . وكيفية حلّه ، ومدى ارتباطه بالعربية ، وهل فيه من المنفعة شيء ، ومن الضرر أشياء ؟!

وقد جعلتُ بحثي هذا على عنوانات صغيرة ترتبط الواحدة بالأخرى في تسلسل الأفكار ، وما ينتج عنه من رؤى تبحث في صلب الموضوع ، وتبين في دراسة بعض النماذج حقيقة الألغاز النحوية ، وقد تركت ترجمة المؤلف ابن عدلان استئناساً بما ذكره الأستاذ الدكتور حاتم الضامن في مقدمة التحقيق؛ فلا أحبذ تكرار ما ذكره هناك.

أرجو من الله السداد في ذلك كلّه ، والحمد لله أولاً ، وآخراً .

الباحثة

توطئة : تحديد المفهومات

١-١ اللغة (الوضوح – الإيصالية) :

ومنذ عرّف ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) اللغة فقال : " أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم " [٢] لم تخرج الدراسات اللاحقة به على ما نظّره من غاية اللغة الأولى ، وهي إيصال المعاني بين المتكلمين ، وتقتضي هذه الغاية في طبيعتها الميل إلى الوضوح ، وعدم الغموض والتعقيد لمخالفتهما تحقيق إيصال المعاني على وجه الكمال ، والتمام ؛ إذ لا يمكن تخيّل وصول المعاني في شكل رسائل مشفّرة صوتياً بين المتكلم ، والمتلقي تكون مفهومة مع ما فيها من لبس ، أو غموض ، أو إبهام وفي هذا السياق نجد النحويين ملتزمين في تنظيراتهم النحوية بتحقيق هذه الغاية من الوضوح ، وأمن اللبس ، وبه علّلوا – أي أمن اللبس – كثيراً من الظواهر اللغوية ، والنحوية ، والصرفية [٣] ؛ لاتضاح أهمية هذه العلة في توجيه المعاني ، وتوجيه الإعراب .

١-٢ الغموض – سوء الفهم :

وقد يثار الغموض في كلام الناس بأسباب تتعلّق بالمتكلم تارةً ، وبالسامع تارة أخرى ، وقد يكون الغموض مقصوداً لكثيرٍ من الغايات ، وأول ما يجلب الانتباه في هذا الأمر موضوع المبني للمجهول ، فهو على الرغم من التقعيد اللغوي الراسخ له في كتب النحو ، والصرف العربيين إلا إنّ النحويين ذكروا أسباباً لوجود صيغة المبني للمجهول ، وكيف يختصر المتكلم صيغة المبني للمعلوم صرفياً ، ومن ثم يحذف الفاعل ويقيم المفعول به مقامه ، ويعطيه حقّ الرفع بعد أن كان منصوباً ، بمعنى أكثر وضوحاً راحوا يفكّرون في الدوافع الإنسانية التي تجعل المتكلم يميل إلى حذف معانٍ معينة من الجملة عند بنائها للمجهول ، فذكروا الخوف من الفاعل ، أو التهويل ، أو غير ذلك من الدوافع [٤] ، وبذا نلحظ انتباهاً ظاهراً لدى النحويين لتعارض سير الجمل بين المتكلم ، والمتلقي بما يُخالف أصل وجود اللغة من الإيضاح وتعارضه بالغموض ، والتعقيد .

وعلى الرغم من وجود تشابهٍ ظاهرٍ بين الحذف في صيغة المبني للمجهول، وغيره من أساليب الحذف الأخرى في العربية إلا إنّ النحويين تنبّهوا لذلك الخيط الرفيع الفاصل بين ما هو مائل في حقيقة معناه إلى الغموض ورسم الصور الكلامية الناقصة لغايات إنسانية مختلفة كالخوف والترغيب والتهويل كما في المبني للمجهول ، وبين أساليب الحذف الأخرى التي تعتمد في جوهرها على

سرعة الفهم ، والاختصار ، وعدم التكرار ، ومن أوضح أمثلته ، ما يذكره النحويون في أبواب حذف المبتدأ ، والخبر ، والحال ، وغير ذلك كثير (٥) .

إنّ متابعة الغموض ، وسوء الفهم في العربية ، وما يذكره النحويون من مسألتي أمن اللبس من جهة ، والحذف من جهة أخرى يضعنا أمام تساؤل مهم يتعلّق بقيمة موقع الكلمات في التركيب النحوي ، وهل هو السبب الرئيس في حدوث الغموض ؟

وهذا البحث يضعنا أمام مجموعة من الأساليب المصطنعة التي تجعل الكلام غامضاً غيرَ مفهوم إلا بعد جهد التأمل ، والتدبير في مواقع الكلمات ، والحذف ، والخط ، وغير ذلك من التقنيّات التي تسبب الخلط والفهم الخاطئ ، والغموض في الجملة العربية .

١-٣ الفرق بين اللغز ، والمشكل :

في تراثنا اللغوي مجموعتان من التأليفات يكاد يتشابهان في الشكل إلا إنّ المدقق فيهما يجد خلافاً جوهرياً بينهما . وهما كتب المشكل في الإعراب ، وكتب الألغاز النحوية .

من المجموعة الأولى نذكر كتاب (**مشكل إعراب القرآن**) لمكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧ هـ ، وهو حلّ المشكل من إعراب القرآن الكريم الذي لا يتضح حلّه وفهمه من أول وهلة ، وكتاب(**شواهد التوضيح ، والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح**) لابن مالك المتوفى سنة هـ ، وهو كتاب في حلّ المشكلات الإعرابية الواردة في الأحاديث النبوية .

ومن المجموعة الثانية كتاب (**الألغاز النحوية**) لابن هشام الأنصاري المتوفى سنة، وكتاب (**الطراز في الألغاز**) للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ ه .

ومن الكتب التي لها علاقة بالموضوع الكتاب الذي يدرسه هذا البحث ، وهو كتاب (**الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة إعراب**) لابن عدلان النحوي (ت٦٦٦ هـ) ، إلا إنّ عنوانه يضعه في المجموعة الأولى التي تختصّ بالمشكل من الإعراب ، وهو في حقيقة أمره من المجموعة الثانية أي من كتب الألغاز .

والسبب في ذلك يعود إلى الخلط بين المفهومين (المشكل ، واللغز) ، والفرق بينهما يكمن في نقاط :

١- إنّ المشكل من الإعراب يتعلق بالنصوص الفصيحة ؛ التي يمكن الاحتجاج بها في اللغة ، قائلوها من الفصحاء ، فهي من صلب سماع العرب . أما اللغز فليس من ذلك ، فهو متعلق بالنصوص المولّدة التي لا يُحتجّ بها .

٢-إنّ المشكل من الإعراب يعود في غالبه لفصحاء معروفين ، خلافاً للغز فهو مجهول القائل في الغالب .

٣-إنّ المشكل من الإعراب لا تكلف فيه، خلافاً للغز ؛ فهو مفتعل ظاهر التكلّف.

٤-إنّ دراسة المشكل من الإعراب تتعلق بتوجيه فصاحته على وفق آراء النحويين ، واللغوين ، مع اعترافهم المسبق بفصاحته .

٥-إنّ دراسة اللغز تمرين ذهني يكشف عن تضلّع النحوي ، أو اللغوي في صنعته ، وتدريب للمتعلمين على ضبط قواعد اللغة العربية .

٦-إنّ ظاهر النصوص المشكلة الإعراب مخالفتها لأوجه أقوال النحويين ، لا أنها خطأ في اللغة . أما ظاهر اللغز فخطأ نحوي ظاهر في اللغة العربية ، وتوجيهات النحويين معاً .

وبذا يظهر الفرق واضحاً بين الاثنين .

١-٤ البلاغيون ، والفصاحة :

تلوح في ذاكرة الثقافة اللغوية العربية البدايات الأولى لنشوء ظاهرة الألغاز عندما راح مجموعة من النحويين يعترضون على تراكيب نحوية ترد في أشعار الفصحاء كالفرزدق مثلاً ، وعلى الرغم من كونها البدايات الأولى للنقد الأدبي ، والبلاغة العربية ، فإنّها تمثّل البذرة الأولى لفكرة الألغاز النحوية .

اتّهمَ الفرزدق بالمعاضلة في كلامه، واعترض عليه ابن أبي اسحق النحوي أكثر من مرة ، وكان جواب الفرزدق المشهور (علينا أن أقول ، وعليكم أن تتأوّلوا)(٦) وهجاه بشعره نقمةً منه على تلك القيود التي يراه غير ملزمة لعربي قحّ فصيح .

هذه المعاضلة (٧) كانت جذوة فكرة الألغاز ، واصطناعها لدى النحويين ، فإننا سنرى استغلالهم لقيمة التأخير والتقديم في الجملة العربية ، وانزياح أركانها في صورة غير مألوفة للمتلقي في صناعة الألغاز .

إلا إنّ معاضلة الفرزدق التي رفضها البلاغيون ، وعدّوها مخلّة بشروط الفصاحة لا تكاد تخرج عن تعقيد الفهم الناتج من طريقة معينة في التركيب تخالف المألوف من السياقات التركيبية العربية ، وهي جارية على لسانه بلا تكلفٍ ، والملاحظ أنّ

تراثنا اللغوي لم ينقل اعتراضاً من فصحاء العرب كلام الفرزدق هذا ، فأبناء جلدته أعلم بطبائع كلامهم ، فلا يشعرون بما يشعر به غير الفصحاء من التعقيد ، وهو أمر يجعلنا نشكّ في القيمة الحقيقية للمشكل في الإعراب من الناحية النقدية على وفق المستوى اللغوي ، أو اللهجي للمتكلم ؛ لأنه لا يُحدث لبساً ، أو غموضاً لأبناء الطبقة الواحدة في اللغة ، أو اللهجة ، يقول الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف : " ومن جانب آخر نجد أن المتكلم الأصلي باللغة يملك القدرة على تمييز الجمل غير الصحيحة نحوياً ودلالياً من الجمل الصحيحة نحوياً ودلالياً..."(٨)، وهو أمرٌ لم يحدث ، ولم تنقله المصادر ، وما امتعاض الفرزدق إلا دليل على رفض ذائقته اللغوية للتقييدات الجديدة الغريبة على لغته ، أما قوله علينا أن نقول ، وعليكم أن تتأوّلوا فدليل على مدى اتّساع مجال الحرية الشخصية للفصيح ، حتى في ما يظهر مخالفاً في شكله للتنظيرات العقلية للنحويين .

١-٥ الغاية من الألغاز النحوية :

هناك مجموعة من الأسباب التي دعت إلى التأليف في الألغاز النحوية ، تتراوح بين الدواعي الثقافية ، والاجتماعية ، ومنها :

١-إثبات الجدارة العلمية للنحوي من خلال نسج الغموض في النصّ الملغز من جهة ، وفكّ ذلك الغموض من جهةٍ أخرى . فقد تحمل مثل هذه المسائل إحراجاً على مَنْ تلقى عليه بما يجعل مثل هذه الألغاز ميزاناً يعرف به الضابط المتقن للأحكام ، والقواعد النحوية (٩) .

٢-تدريب الطلبة على القواعد النحوية ، واللغوية بطريقة السؤال المعقد ، وفكّ رموزه ؛ إذ يقتضي حلّ اللغز مراجعة ذهنية سريعة للقواعد المدروسة من جهة، والتذوق الأدبي لمعنى النصّ وفهمه من جهة أخرى ؛ ذلك " إن اللغة لا تنفصل عن عمل الذهن ، التفكير عمل لغوي ، وحين نفكر نقوم بعمل من صميم العربية، نظام كلماتها هو نظام تفكيرنا " (١٠) .

٣-الترفيه عن النفس بوسيلة علمية مقبولة تستسيغها العقلية النحوية للأستاذ ، والطالب على حدّ سواء . والتجربة تؤيد هذا الأمر فمحاولة حلّ هذه الألغاز فيه من الطرافة شيء كثير ، وفيه من الغرابة أكثر .

٤-طبيعة الخط العربي الذي تتشابه فيه الحروف بما يورث اللبس تصحيفاً ، وتحريفاً فيه (١١) ، قد يجعلنا نهتدي لكونه باعثاً ، ومحفّزاً لظهور الألغاز النحوية، فربما كان اللغز الأول تصحيفاً ، أو تحريفاً جرى على قلم أحد النُسّاخ في واحدة من تلك المسائل بلا قصدٍ منه فانتبه عليها النحويون ، فاهتدوا إلى سرّ صناعة الألغاز النحوية . الأمر الذي يضعنا أمام تمرينات جدّية للنُسّاخ يضعها النحويون لهم من طريق الألغاز (١٢) ، وفي مجال ذي صلة يقول الدكتور كمال بشر : " لا ينكر أحد أن نظام الكتابة العربية بوضعه الحالي عامل ذو طبيعة خاصة من عوامل التعقيد في اللغة والخطأ والاضطراب في عناصرها المختلفة ، يظهر التعقيد والخطأ بصورة واضحة عند أداء الكلام المكتوب نطقاً"(١٣).

٥-إنّ طبيعة التراث العلمي الذي تركه ابن عدلان لنا تجعلنا أمام غاية خفية لا تكاد تبين ، فابن عدلان متبحّر بفنّ التعمية، والمعمّى، وله فيه تأليفات، والمعمى في أوضح صورة له علم التشفير، وفكّ النصوص المشفّرة (١٤)؛ الأمر الذي يثير تساؤلات عن أهمية سياسية، أو أمنية تستغل الألغاز بها، وتُصنع من أجلها ، وعلى الرغم من افتقادنا لأدلة تأريخية ملموسة في هذا الافتراض إلا إنه افتراض يبقى قائماً، يقبل المناقشة ، والقبول ولاسيّما أنه عاش في مرحلة تأريخية حرجة وافقت سقوط عاصمة الخلافة العباسية بغداد سنة ٦٥٦ هـ .

١-٦ الألغاز النحوية ، التلقي والتأويل

تثير قضية اللغز النحوي في ضوء تلقي السامع له مجموعة من الرؤى تحاول الكشف عن طبيعة العلاقة المميزة بين المرسل ، والمتلقي في فهم النحويين للكلام المتراسَل بين طرفين .

وأول ما تعلمناه في النحو العربي كلمات ابن مالك المشهورة في تعريف الكلام بأنه : **لفظٌ مفيدٌ كاستقم** (١٥) ، فالإفادة شرط أساسٌ في تلك العلاقة الثابتة بين المرسل ، والمتلقي ، وهذه الإفادة كانت الدعامة الرئيسة في كيان النحو العربي ، وجسده المتماسك .

وفي ضوء هذه الإفادة نتساءل عن جدية المغامرة التي أغرت بعض النحويين في خوض غمار التلغيز ، وهم على دراية كاملة بخطورة التناقض بين الإفادة في الإفهام ، والغموض والإبهام الذي يجعل العلاقة بين الطرفين المتكلم ، والسامع متوترة ، غير مألوفة !!!

وهذا الأمر يعلل التعليق الذي يُسجله ابن عدلان في خاتمة كلّ مسألة من مسائله يذكر فيها معنى البيت بما يتلاءم وتصوّر القاعدة النحوية في شكلها التقليدي ، لا الملغز .

ونقف أمام ظاهرة التلغيز بالشعر ، لا النثر . وهي مسألة تستحق التفكير ، والتأمل ، ولعل طبيعة الشعر العروضية التي تجعل قوالبه الخليلية جاهزة لمثل تلك الألغاز ، فتمنح تفعيلاته الملغِز فرصة التقديم ، والتأخير ، واستغلال الضرورات الشعرية في تحقيق خارطة مستحكمة لصناعة اللغز النحوي .

يعتمد اللغز النحوي على مفارقة نحوية ظاهرة ، تجعل السامع في تقبل حذر للنصّ لمخالفته الظاهرة للقواعد النحوية ، والأحكام النحوية ، وهنا تكمن طرافة الموضوع ، فإذا صادفنا نصٌ يرفع فيه المجرور ، أو ينصب فيه المرفوع ، وغير ذلك فإننا في الغالب نتسرع في الحكم على النصّ بالتخطئة ، فإذا أضفنا له غموض المعنى ، واضطرابه فإنّ متعة فكّ النصّ تغري بمتابعة العملية التدريبية حتى آخرها ؛ لنتعرف على حلّها .

قد تدعونا تلك النصوص الملغزة إلى التفكير جديّاً بمحاولات جريئة لأولئك النحويين في محاولة كشف سرّ العربية بطريقة مغايرة للمألوف ، بطريق الالتفاف على القواعد النحوية ، ولو بشكل شكلي لا يمسّ جوهر اللغة العربية نفسها .

إنّ التحايل الشكلي على القواعد النحوية ، والالتفاف عليها يعطي النحويين متّسعاً من الوقت لمراجعة حساباتهم ، وقراءة اجتهاداتهم بطريقة تجعل اجتهاداتهم في محكّ اختبار حقيقي لإثبات صحتها .

الطرق التي اعتمدت في صناعة اللغز النحوي

هناك مجموعة من الأساليب التي اعتمدها الملغزون في صناعة اللغز النحوي ، ومن تلك الأساليب :

١- **التأويل النحوي بالتقديم والتأخير** ، وهو أقدم تلك الأساليب ، وهو التعقيد ، أو المعاضلة التي ذكرناها سابقاً في شعر الفرزدق ، ويمكن السرّ في طريقة وضع التركيب النحوي المألوف في طريقة غير مألوفة توحي بارتباك الجملة من الناحية المعنوية ؛ فيصعب فهمها من القراءة الأولى ، ولا يمكن فهمها مالم تُعد أجزاء

الجملة إلى حالها التقليدية في الإسناد ، والتركيب ، ومن أمثلتها في كتاب ابن عدلان :

- قوله : " على صلبَ الوظيفِ أشد يوماً

وتحتي فارسٍ بطلٍ كميتُ

في هذا البيت تقديم ، وتأخير وضرورتان وإعراب ، وترتيبه : على فارسٍ بطلٍ أشد يوماً ، وتحتي كميتٌ صلبَ الوظيفِ ، فجرّ فارساً بـ(على) ، و (بطلٍ) صفته ، ونصب صلبَ الوظيف على أنه حال للنكرة ، وقد تقدمت عليها .

والضرورتان : الفصل بالحال بين المجرور وجارّه ، والفصل بالمجرور وصفته بين المبتدأ والخبر " (١٦) .

يكمن السرّ في تلغيز البيت في مجموعة من المركبات غير المألوفة في نسقها النحوي، فالفصل بين المركبات من جهة ، والتقديم والتأخير من جهة أخرى صنعا مركبات وهمية جعلت المتلقي في صعوبة بالغة في تحديد ملامح المركبات الأصلية ، فقد فصل بين الجارّ والمجرور في (على فارسٍ) بمركب منصوبٍ يقتضي أن يكون له عامل ناصب فيه ، وبذا حقق الملغز هدفه ببراعة ؛ إذ لا يكاد المتلقي يخرج من حيرة تركيب الجار والمجرور حتى يدخل في حيرة العامل الناصب للاسم الذي يلي حرف الجرّ .

وكذا فصله بين الجملة الخبرية (تحتي كميتٌ) بالفاصل الذي يزيد ارباك المتلقي في زيادة عقد الفصل بين المركبات وأجزائها .

- قوله : " رجعَ القومَ بعد ما كان فيهم مَنْ تولّى وحققَ الاحتجاجُ

(الاحتجاج) فاعل رجع ، (القومَ) مفعوله ، وهو نظير قوله تعالى : (فَإِنْ رجعَكَ اللهُ) (١٧) ، التقدير : رجعَ الاحتجاجُ القومَ بعدما كان فيهم مَنْ تولى وحقق " (١٨) .

والأصل في الجملة أن تكون من فعلٍ ، وفاعل ، ومفعولٍ به على نسق تركيبي يحافظ على الرتبة في التقديم ، والتأخير ؛ إلا أن الملغز تعمد تأخير الفاعل إلى قافية البيت حتى يجعل من احتمال انتباه المتلقي إليه في كونه هو الفاعل ضعيفاً، وهنا تكمن براعته ، وقد لفت ابن عدلان إلى سرّ التلغيز في هذا البيت ، وهو استعمال الفعل (رجع) متعدّياً إلى مفعوله ، وليس كما هو مألوف من استعمال الفعل لازماً ، يتعدى بحرف الجر ، فأحدث لدى المتلقي ارتباكاً حينما راح يبحث

عن متعلّق الفعل اللازم ، وهو الجار والمجرور ، وهو غير موجود في الجملة أصلاً .

- قوله : " إلى الله ربّي قد رجعتُ تنصّلاً

لتغفرَ ما قدّمتُ ربّ المعارجُ

(المعارجُ) مبتدأ ، وخبره (إلى الله ربّي) ، و(ربّ) الثاني منادى ، و(قد رجعتُ) خبر مستأنف ، وتقديره : إلى الله المعارجُ يا ربّ قد رجعتُ تنصّلاً لتغفرَ ما قدّمتُ " (١٩) .

وتعتمد فكرة اللغز في هذا البيت على شطر التركيب الاسنادي ، وهما المبتدأ والخبر أولاً ، وتأخير المبتدأ ، وتقديم الخبر ، ومن ثم حشر الفاصل الغريب بينهما ، ولا يكتفي الملغز بهذا القدر من التعقيد ، بل يزيد من غموضه بلفت أنظار المتلقي إلى مسائل أخرى كحذف حرف النداء في (ربّ) فأوهم بالإضافة مع (المعارج) إلا إن الرفع فيه يجعل المتلقي في حيرة من مثل هذا التركيب الخاطئ .

٢- **التأويل النحوي بالحذف** ، والحذف في هذا الموضوع يثير إشكالات بالتباس المعنى عندما يتحول التركيب المعتاد إلى تركيب جديد تتناثر فيه المعاني ، وتتبعثر فيصعب معها فهم النصّ ، وقد تتركب هذه التقنية مع التقنية السابقة في المثال الواحد مما يزيد الأمر تعقيداً ، ومن أمثلته :

- قوله : " صِلْ حبالي فقد سئمتُ الجفاءُ

يا قتولي ، واحفظْ عليّ الإخاءُ

رفع (الجفاء) بالابتداء ، وخبره (قتولي) ، و(يا) حرف تنبيه لا منادى له ، أو قد حُذف مناداه ، كقوله : يا لعنةُ اللهِ ، أي : يا قومِ ، وفُصلَ بين المبتدأ ، والخبر بالنداء ، وهو جائز لقولك : زيدٌ يا عمرو كريمٌ .

و(سئمتُ) لا تعلقَ له بما بعده ، لأنّ مفعوله محذوف ، وكذلك مفعول (احفظ) .

و(الإخاءُ) مبتدأ ، و(عليّ) الخبر ، تقديره : صلْ حبالي فقد سئمتُ الصدّ ، الجفاءُ يا قومي قتولي ، واحفظ الودَّ عليَّ الإخاءُ " (٢٠) .

هذا الحذف أحدث فجوات في جسد التركيب النحوي للجملة ، فأحدث بأثره خللاً واضحاً في معناها ، ومما زاد في ذلك التعقيد والخلل الحشو الطارئ لبعض الكلمات الذي جعلها تسير في سياق موهوم يجعل المعنى مرتبكاً ، فحرف التنبيه، أو النداء (يا) حشرت بين المبتدأ ، والخبر زيادة أوهمت بوجود جملة طلبية معترضة لا حقيقة لها أصلاً . فالجملة متكونة من مبتدأ هو الجفاء ، وخبر هو

قتولي ، فلما دخلت (يا) أحدثت جملة وهمية لا وجود لها هي (يا قتولي) بما جعل الخبر محذوفاً من سير النظام التركيبي لها .

٣- **الحذف ، والوهم الصوتي** ؛ وذلك بحذف جزءٍ من الكلمة ، ووصله بكلمةٍ ثانية فينتج عنه كلمة جديدة لها ظاهر مخلٌّ بالإعراب ، وباطن صحيح ، ويتلاقى هذا الأسلوب مع الأسلوب الذي يليه ، وهو الخطّ ، في تقنية خداع المتلقي في فهم العبارة ، أو المفردة ؛ إلا إنّ الخطّ خدعة بصرية ، والوهم الصوتي خدعة سمعية ، والحذف يجمع بينهما.

ومن أمثلة الحذف :

- قوله : " إنّ هندُ الجميلة الحسناءَ وأيَ من أتبعتْ بوعدٍ وفاءَ

(إنّ) فعل أمر للمؤنث مؤكدٍ بالنون الثقيلة ، من وأى يئي بمعنى وعد ، وأصل هذا الأمر تئين مثل تفين ، فحذف التاء للمواجهة ، والنون للياء المضاهي لجزم المضارع ، والياء الضمير لئلا يلتقي ساكنان ، الياء والنون المدغمة ، وكسرة الهمزة دالّة على صفة حذف الياء .

و(هندُ) منادى مبني على الضم محذوف حرف النداء كقوله : (يوسُفُ أعرِضْ)(٢١)، و(الجميلة) وصف له على الموضع ، و(الحسناءَ) صفة لمفعول محذوف تقديره : المرأةَ الحسناءَ ، و(وأيَ) منصوب مصدرٌ لـ(إنّ)، كما تقول: عِدِنَّ يا هندُ المرأةَ وعدَ مَنْ يفي " (٢٢) .

في النصّ مجموعة من الأساليب التي تورث اللبس والارتباك في ذهنية المتلقي كحذف العوامل الناصبة للنداء ، والمدح ، إلا إنّ الذي أورث اللبس الأكبر في البيت هو الفعل (وأى) الذي صيغَ منع فعل أمرٍ اتصل بنون التوكيد فأوهم بالتشابه مع الحرف المشبه بالفعل (إنّ) ، ولمّا أظهر بعده تركيباً مخالفاً لسَنن العربية بعد الحرف المشبه بالفعل ، وهو أن يكون ما بعدها منصوب ثم مرفوع، وجاء بمرفوع ثم منصوب أحدث هذا اللبس كله .

وإذا ما أردنا أن نحلّ اللغز فإننا نضع الجملتين في مقارنة بسيطة تكشف عن موضع اللبس في اللغز :

الجملة الأولى : إنّ هندَ الجميلةُ الحسناءُ .... منصوب + مرفوع
الجملة الملغزة : إنّ هندُ الجميلةَ الحسناءَ ... مرفوع + منصوب

وبذا يتحقق اللغز من جزئين ، الأول تشابه (إنّ) الفعل بـ(إنّ) الحرف الناصب ، واضطراب التركيب ، وعكسه ، مع ما موجود من حذف لتراكيب أخرى حشرت في التركيب الأصلي حشراً لتزيد من تعقيده ، وإبهامه .

- قوله : " أقولُ لِـخالداً يا عمرو لمّا علتنا بالسيوفُ المرهفاتُ

(خالداً) مفعول (لِـه) ؛ لأنه أمر من (ولي يلي) مثل (وأى يئي) ، وقد تقدّم ، و(علت) فعل ماضٍ ، و(نابي) مفعول به ، والناب الناقة المسنّة ، والسيوفُ فاعل (علت) ، تقدير معناه : أقولُ : اتبع خالداً لمّا علت نابي السيوفُ"(٢٣) .

وقد حدث اللغز باتصال فعل الأمر (لِه) من الولاء بمفعوله (خالداً) المنصوب فأحدث لبساً يتصور السامع الخطأ في نصب الاسم (خالد) الذي يتصوّر جرّه بتوهم كون اللام حرف جرّ ، لا فعل أمر !

وحدثت المفارقة الثانية في توهم صوتي ساعد عليه الخطأ الكتابي في قول الملغِز: علتنا بالسيوفُ ، إذ الأصل : علتْ نابي السيوفُ ، فعلتْ فعل ماضٍ ، والسوف فاعل مرفوع ، ونابي مفعول به ، وهو مضاف ، والياء مضاف إليه ، والناب الناقة .

- قوله : " قالَ زيدٍ سمعتُ صاحبِ بكرٍ
  قـائلٌ قد وقـعتُ فـي اللأواءُ

(قالَ) اسم للقول، مضاف إلى زيد ، منصوب لـ(سمعتُ) ، وصاح من صاحب ترخيم صاحب، وهو من الشذوذ، و(ببكرٍ) جار ومجرور ، وهو خبر مبتدأ ، ومبتدؤه (اللأواءُ) ، و(قائلٌ) خبر مبتدأ محذوف ، و(فِـه) أمر من وفى يفي ، والتقدير : سمعتُ قولَ زيدٍ : يا صاح ببكرِ اللأواءُ ، أي الشدة ، فِه لي"(٢٤).

ويندر استعمالنا للقال ؛ لهيمنة الفعل الماضي المشابه له في الصوت (قالَ)، وهو ما استثمره الملغِز فأحدث بطريق إضافته إلى الاسم مع جرّ الاسم المفارقة غير المألوفة ، إذ المعتاد أن يرد بعد (قالَ) اسم مرفوع ، لا مجرور ، من غير انتباه المتلقي لاسميّة (قالَ) هنا !!

يكمن التعقيد الثاني في تأخير الفعل العامل في (قالَ زيدٍ) ، ومن ثم جاءت المفارقة الثالثة في (صاحب بكرٍ) التي كتبت بطريقة توحي بالإضافة ، والأصل فيه الاسم المنادى (صاح) ، ببكرٍ اسم مجرور ، ثم جاءت المفارقة الأخرى في استعمال فعل الأمر من (وفى) ، حرفاً واحداً (فـِ) وجاء بالاسم الذي بعده

مرفوعاً في مفارقة أخيرة الأمر الذي جعل النصّ بأكمله لغزاً مركباً لا يمكن حلّه بسرعة وسهولة .

٤- الخطّ ، ويتحقق غالباً بطريقة وصل الكلمات فتتغير الكلمة ، أو الجمل ، بما يوهم بالمتشابه في طريقة نطقه ، إلا إنه مضطرب الإعراب ، يجلب الانتباه ، والحيرة . **ومنه :**

- قوله : " كساني أبي عثمان ثوبانُ للوغى ...

الكاف للتشبيه ، و(ساني) فاعل من سنا يسنو ، إذا استقى ، و(ثوبانُ) اسم رجل ، وهو مبتدأ ، وخبره (كساني) ، واللام في قوله : (للوغى) متعلقة بما في الخبر من معنى الفعل ، تقديره : ثوبانُ كساني أبي عثمان للوغى في الضعف، وقلّة الغَناء ... " (٢٥) .

وقد تحقق التلغيز في أمرين ؛ الخط في كتابة (كساني) التي أوهمت بفعل الكساء ، وظهور ضمير المتكلم (الياء) ، من جهة ، وذكره لما يوافقه في المعنى في (ثوبان) من جهة أخرى .

إلا إنّ ما يظهر من خلل إعرابي في (أبي عثمان) وحقه الرفع ظاهراً ، ورفع (ثوبانُ) وحقه كسر النون منه ظاهراً، يجلب الحيرة ، والتساؤل معاً في صياغة البيت ، وتأويله .

- قوله : **"** أيلْكوزُ تشربْ قهوةً بابليةً لها في عظام الشاربين دبيبُ

(أيلْكوزُ) كلمتان وقع بها الإلغاز لخروجهما في شكل الاستفهام ، وحروف الجرّ، وهما أيلْ من إبلال العلّة ، وقد خفّف اللام للضرورة ، وكوزُ اسم رجل منادى ، تقديره : يا كوزُ " (٢٦) .

يعتمد اللغز في وصل الفعل (أبلْ) من الإبلال ، والاسم المنادى (كوز) في الخط ، من دون ذكر حرف النداء (يا) فأوهم بالاستفهام إلا إن الرفع فيه يجعل المتلقي في حيرة ، واضطراب في علة الرفع ؛ إذ المفروض جرّه على ما يظهره الخط ، وكذا الجزم في (تشربْ) الذي استحقّه لأنه جزاء الطلب ، أورث لبساً للمتلقي على ظاهر الخط ؛ إذ لا مسوّغ لجزمه .

- قوله : " جاءَكَ سلمانَ أبو هاشِماً وقد غدا سيّدها الحارثُ

(جاء) فعل ماضٍ ، والكاف للتشبيه ، و (سلمانَ) مجرور به ، و (أبوها) فاعل (جاء) ، وموضع الكاف نصبٌ على الحال إن كانت حرفاً ، وحالٌ إن كانت اسماً

، و (شماً) فعل أمر ، من شام البرقَ ، إذا نظر إليه ، مؤكدٌ بالنون الخفيفة ... " (٢٧) .

يعتمد التلغيز على خداع في طريقة كتابة الجملة بما يظهر النص بشكلٍ مغلوط ؛ فقد وصل الكاف الجارة التي تفيد التشبيه خطأً بالفعل ، فأوهم بكونها ضمير المخاطب ، وانفرد الاسم المجرور من دون اتصال بكاف التشبيه ، وهو (سلمان) فأوهم بالخطأ النحوي ؛ إذ يتبادر إلى الذهن رفع سلمان ، لا جرّه بالفتحة لمنعه من الصرف ، ويظهر الخداع الثاني في طريقة كتابة جملة (أبو هاشماً) بفصل الضمير من (أبوها) ، ووصله بالفعل (شماً) فظهر بالتوهم (هاشماً) اسماً منصوباً يثير تساؤل المتلقي عن نصبه ، وهو مضاف يستحق الجر ، ولعل الحلّ الوحيد لفكّ هذا اللغز يكمن في طريقة قراءته بتأنٍ يكفل الفصل في ما وصله الخط فأورثه الخطأ ، والتلغيز ، والغرابة معاً .

الخاتمة

بعد المرور السريع على نصوص ابن عدلان الملغزة ، ومحاولة تحليل وجود الألغاز النحوية ، وقراءة نماذج منها ، فإنّ الباحثة تذكر نقاطاً تلخص البحث فيها:

١-تعارض اللغز النحوي ، وطبيعة اللغة التواصلية التي تميل إلى الوضوح ، وعدم اللبس .

٢-قدرة النحويين على فهم العلاقة الجدلية بين المرسل ، والمتلقي في سلسلة الكلام ، ومحاولة اختبار القواعد التي اجتهدوا في ضبطها بطريقة تدريبية بارعة.

٣-تنوع الوسائل التي يُصنع بها اللغز النحوي .

٤-العلاقة الوطيدة بين اللغز النحوي ، والمعنى المراد منه .

وهناك نتائج أخرى مبثوثة في سطور البحث ، والحمد لله أولاً ، وآخراً .

المصادر

- **القرآن الكريم .**

١- **أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة**، د. نايف خرما ، عالم الفكر (٩)، الكويت ، ١٩٨٧ م .

٢-(**الألسنية**) عالم الفكر ، م ٢٠ ، ع ٣ ، الكويت ، ١٩٨٩ م .

٣- **الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب** ، علي بن عدلان الموصلي النحوي (ت ٦٦٦ هـ) ، تحقيق : د . حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٤- **الأنماط الشكلية لكلام العرب** ، **نظرية وتطبيقاً** ، **دراسة بنيوية** ، د. جلال شمس الدين ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٥ م .

٥- **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك** ، ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت، (د. ط) (د. ت).

٦- **الإيضاح في علوم البلاغة**، الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) ، شرح وتعليق وتنقيح : د. محمد عبد المنعم خفاجي ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ط/٣ ، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣ م .

٧-**البحث اللغوي عند العرب**، د . أحمد مختار عمر، عالم الفكر، القاهرة، ط/٦ ، ١٩٨٨ م.

٨-**تحقيق النصوص ونشرها** ، عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط/٧ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .

٩- **الخصائص** ، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠م.

١٠-**شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط٢٠، دار التراث، القاهرة، ١٩٨٠

١١-**شرح المكودي على ألفية ابن مالك** ، أبو زيد عبد الرحمن بن علي المكودي (ت ٨٠٧ هـ) ، تحقيق : د . فاطمة الراجحي ، جامعة الكويت ، ١٩٩٣ م .

١٢-**علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب** ، د . محمد مراياتي ، ويحيى مير علم ، ومحمد حسان الطيّان ، وتقديم الدكتور شاكر الفحّام ، مطبعة مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٧ م .

١٣-**اللغة العربية ، بين الوهم ، وسوء الفهم** ، د. كمال بشر ، دار غريب ، القاهرة ، ١٩٩٩ م .

١٤-**اللغة والتفسير والتواصل** ، د . مصطفى ناصف ، عالم المعرفة (١٩٣) ، الكويت ، ١٩٩٥ م .

١٥-**النحو ، والدلالة** : مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي ، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة ، ط/١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م .

Grammatical Mysteries
Analytical study

Assistant Lecturer **Zainab Jumah**
Baghdad University - College of Mass Media

I have dealt in this research about the nature of the language conductivity that make clarification its hallmark, the lack of contact with the mystery, confusion, and addressed some of what was stated by rhetoricians in the condition eloquence of non-complex, and the weakness of authorship, and thought grammarians of the security of confusion, stating the difference between puzzles, the problem is to express, and then studied some examples of the book of Ibn Adlan to know the ways industry puzzle grammar. And how to resolve it, and how it relates to Arabic, and whether the benefit of something, and damage things?!

After going on a quick text of Ibn Adlan enigmatic, and try to analyze the existence of grammatical Mysteries, and reading the forms of which, remember, the researcher points summarize the search:-

1. **Conflict of the mystery grammar, and communicative nature of language that tend to clarity, and lack of confusion.**
2. **Syntactical ability to understand the dialectical relationship between the sender and the receiver in a series of speech, and try to test the rules that worked hard in the training set ingenious way.**
3. **Diversity means that the mystery is made by the grammar.**
4. **The close relationship between the mystery grammar, and meaning of it to be.**

Results are found scattered in other lines of research, and thank God first, and foremost.

الهـوامـش

---

(١) وقد ترجم له الأستاذ الدكتور حاتم الضامن في مقدمة تحقيقه للكتاب ترجمة مختصرة مفيدة ، نذكر منها أنه عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان بن حماد بن علي الربعي الموصلي المترجم ، وسمي المترجم لبراعته بحل المترجم والألغاز ، وهو الذي صحح الدكتور مصطفى جواد نسبة كتاب التبيان في شرح الديوان إليه ، ونفى نسبته للعكبري : ينظر المقدمة : ٥ فما بعدها من التحقيق .

(٢) الخصائص : ٣٣/١ .

(٣) ينظر مثلاً : كلام ابن هشام في قولهم : (غلامُ زيدٍ ضاربهُ هو) وإبراز الضمير المتعلق بالوصف إذا جرى على من هو له ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ١٩٤/١-١٩٥ . وغير ذلك كثير جدا .

(٤) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ١٣٥/٢ فما بعدها . وكذا شرح المكودي على ألفية ابن مالك : ٢٧٧/١ فما بعدها .

(٥) انصبّ جهد النحويين على الربط بين الشكل والمعنى ، فكان من نتاج أفكارهم في هذا المجال ما يعرف بالرتبة التي جعلوها قرينة على المعنى ، هذه الرتبة قد لا تحتفظ بمكانتها كما في مثل هذه الموضوعات النحوية ، ينظر: الأنماط الشكلية لكلام العرب ، نظرية وتطبيقاً ، دراسة بنيوية ، د. جلال شمس الدين : ١/ ١٥٨ .

(٦) ينظر: البحث اللغوي عند العرب ، د . أحمد مختار عمر : ٩١ .

(٧) وقد ذكروا في شروط الفصاحة ملاحظتين ، الأولى ضعف التأليف ، وهو خروج النصّ على المشهور من الآراء النحوية ، والتعقيد – وهو المعاضلة – وهو أن يختلّ نظم الكلام ولا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه ، ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني :٢٨/١-٣٢ .

(٨) النحو ، والدلالة : ٤٦ .

(٩) ربّما نميل إلى فهم المسألة في توجّهٍ وظيفي للنحو العربي عند المؤلفين في الألغاز النحوية ، إذ تبرز فكرة المنظور الوظيفي للجملة على أساس القيمة الاتصالية للغة ، فهي وسيلة تعبيرية مؤثرة ، لا تنفكّ عن واقعها التي تحيا فيه ، ينظر: الاتجاه الوظيفي ، ودوره في تحليل اللغة ، يحيى أحمد ، منشور في كتاب (الألسنية) عالم الفكر ، م ٢٠، ع ٣ : ٧٦ .

(١٠) اللغة والتفسير والتواصل ، د . مصطفى ناصف : ١١٧ .

(١١) في الفرق بين التصحيف والتحريف كلام كثير ، يرجعه بعضهم إلى التشابه في رسم الحروف، ونقطها، ينظر: تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام هارون : ٦٥ - ٧١.

(١٢) تقلل بعض الدراسات من القيمة الحقيقية للكتابة في الفهم اللغوي بعدّ اللغة وسيلة إيصالية صوتية تستعين بالنطق في تحقيق غاياتها ، يقول الدكتور نايف خرما : " وما دام الأمر

كذلك فينبغي أن يعطى الكلام الأفضلية من حيث الدراسات اللغوية على اللغة المكتوبة بدون أدنى تردد " ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : ٢٠٧ .

(١٣) اللغة العربية ، بين الوهم ، وسوء الفهم : ١٧١ .

(١٤) ينظر: علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب ، د . محمد مراياتي ، ويحيى مير علم ، ومحمد حسان الطيّان ، وتقديم الدكتور شاكر الفحّام ، وقد قدّم الكتاب تحقيقاً لثلاثة كتب في المعمى منها كتاب لابن عدلان النحوي : ٢٨/١ ، فما بعدها .

(١٥) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ١٣/١

(١٦) الانتخاب : ٢٤ .

(١٧) سورة التوبة : ٨٣ ، ويقصد أن الفعل رجع متعدٍ بنفسه لمفعوله .

(١٨) الانتخاب : ٢٨ .

(١٩) الانتخاب : ٣٠ .

(٢٠) الانتخاب : ١٨ .

(٢١) سورة يوسف : ٢٩ .

(٢٢) الانتخاب : ١٦-١٧ .

(٢٣) الانتخاب : ٢٣ .

(٢٤) الانتخاب : ١٩ .

(٢٥) الانتخاب : ٢١ .

(٢٦) الانتخاب : ٢٣ .

(٢٧) الانتخاب : ٢٥ .